انتفاضة ربض قرطبة الجنوبي سنة 202هـ /818م
وعلاقتها بفتح جزيرة إقريطش

يحيى زكريا سرور
باحث في تاريخ الحضارة الإسلامية

obeikan.com

obeikan.com

انتفاضة ربض قرطبة الجنوبي سنة 202هـ /818م
وعلاقتها بفتح جزيرة إقريطش

تعد انتفاضة الربض القبلي لمدينة قرطبة المعروف باسم "ربض شقندة- Secunda"[1] الحدث الأبرز بين أحداث عهد الأمير "الحكم بن هشام" [180-206هـ/ 796- 822م] ثالث أمراء بني أمية بالأندلس ، حتى أن ذكره في كتب التاريخ ارتبط بها فعُرف بـ "الحكم الربضي" نسبة إلى هذه الحادثة ؛ وقد استرعت هذه الثورة الشعبية انتباه المؤرخين ولفتت أنظارهم ، فاكتفى معظمهم عند ذكره لأحداث هذه الفترة من تاريخ الأندلس بالإشارة إلى هذه الانتفاضة وحدها من بين أحداث هذا العهد الكثيرة والهامة ، والتي كان لبعضها آثارٌ عميقة في مصير الأندلس[2].

---

(1) الربض: هو ضاحية المدينة أو الحي المشرف عليها، ويقع "ربض شقندة" جنوبي قرطبة على الضفة الجنوبية من نهر الوادي الكبير في مقابل قصر الإمارة ، وتصل بين الربض وقرطبة "القنطرة الرومانية" الشهيرة، والتي كان هشام بن عبد الرحمن الداخل قد أعاد بناءها ، فعمرت الجهة المقابلة لها وعرفت بالربض.

(2) انظر على سبيل المثال ما كتبه كل من :

- ابن حزم: أبو محمد علي بن سعيد .ت 456هـ : جمهرة أنساب العرب، تحقيق ليڤي بروفنسال. القاهرة 1948م، ص 87 .
- الحُميدي: أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي. ت 488هـ : جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 1952 ، ص 11 . =

وتكمن خطورة هذه الثورة في كونها عملاً شعبيًّا محضًا هدد مباشرة رأس السلطة في الأندلس، وحاول النيل من شخصه ، وبالتالي كانت هذه الثورة مغايرة لما عرفته قرطبة من ثورات قام بها الخارجون على السلطة أو الطامعون فيها .

وعلى عكس ما قاله البعض من أن انتفاضة سكان الربض كانت « أشرًا وبطرًا، وملالاً للعافية وطبعًا جافيًا، وعقلاً غبيًّا، وسعيًا في هلاك أنفسهم، إذ لم تكن ثمة ضرورة من إجحاف مال، ولا انتهاك لحرمة، ولا تعسف في ملكة »[3] فإن أحداث عصر الأمير الحكم بن هشام تدل على ما يخالف هذا الرأي.

ولذا لا بد من التعرف على أسباب هذه الثورة، وأحداثها حتى نتمكن من فحص نتائجها وتحليلها .

عندما توفي هشام الأول في صفر 180هـ/ إبريل 796م وهو في الأربعين من عمره [4]. ترك على عرش الأندلس ابنه " الحكم " الذي استبشر الناس بمقدمه خيرًا، ورأوا فيه شابًّا عاقلاً، وحاكمًا متمرسًا بشئون الحُكم والإدارة في أيام أبيه، لكن الأحداث أتت بعكس ما يرجوه الناس من خير وطمأنينة ؛ فما إن تولى "الحكم" مقاليد السلطة في قرطبة، حتى عصفت بالأندلس رياح الثورة العاتية، وخرجت عليه مدن الشمال الأندلسي الواحدة تلو الأخرى ، فما تسكن ريح الثورة في بلد حتى تهب من بلد آخر ، فهذه

= – عبد الواحد المراكشي : المُعجِب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق د.محمد زينهم عزب ، القاهرة 1994م ، ص30 .

– المقري: أبو العباس أحمد بن محمد بن يحيى التلمساني ، ت1041 هـ : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، طبعة دار صادر، بيروت 1969م ج1 ص338.

ستجد أن هذه المصادر التاريخية الأندلسية ركزت اهتمامها على حادثة الربض وحدها ولم تكتب الكثير عن بقية أحداث عصر الحكم.

(3) ابن عذاري المراكشي : البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق جورج كولان ، ليفي بروفنسال، ج 2 ص71.

(4) ابن القوطية : أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن مزاحم ، ، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق إبراهيم الإبياري، طبعة دار الكتاب المصري اللبناني، القاهرة وبيروت 1980م ، ص 66 ؛ وابن عذاري المراكشي : البيان المغرب، ج 2 ص 68 .

"طليطلة" دار الخلاف على الأئمة على حد قول ابن حيان[5] تخرج عن طاعة الأمير الحكم ، ومن بعدها "سرقسطة – Zaragoza" التي كانت صداعًا مزمنًا في رأس أمراء بني أمية بالأندلس تثور هي الأخرى ، ومن بعدها يأتي الدور على "ماردة – Mérida" ومن ورائها "وشقة– Huseca" .

ومن قبل هذه الفتن والثورات كان خروج "سليمان وعبد الله"[6] عمي الحكم عليه وصراعهما معه، فشقي بهما وشقيت الأندلس فلم تعرف طعمًا للسكينة والهدوء طيلة مدة صراعه معهما[7] ؛ واستغل الفرنجة هذا الصراع الداخلي بين الحكم وعميه فقاموا بغزو شمال البلاد والاستيلاء على مدينة برشلونة البحرية الهامة سنة 185هـ / 801 م « وانتقلت إليها يومئذ رابطة الإفرنج عن مدينة جِرُندة فعظمت بذلك على أهل الإسلام الحسرة»[8] .

ولما تمكن الحكم من القضاء على عمه "سليمان" سنة 184هـ/ 800م ، وتصالح مع عمه "عبد الله المعروف بالبلنسي" سنة 187هـ / 803م بدأت في تاريخ الأندلس مرحلة جديدة .

---

(5) ابن حيان: أبو مروان حيان بن خلف القرطبي . ت469هـ : السفر الثاني من كتاب المقتبس ، حققه وقدم له وعلق عليه محمود علي مكي ، مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية ، الرياض 2004، ص164.

(6) "سليمان وعبد الله" هما ابنا الأمير عبد الرحمن الداخل، وكانا على خلاف مع أخيهما هشام بعد توليه حكم الأندلس حيث نازعاه سلطانه وثارا عليه ، واستمر نزاعهما مع ابنه الحكم صدر إمارته .

(7) عن عصر الأمير الحكم وأهم أحداثه انظر: ابن حيان القرطبي : المقتبس ، ص93 وما يليها ؛ وابن عذاري المراكشي ج2 ص68 وما بعدها ؛ وانظر كذلك ليڤي بروڤنسال : تاريخ إسبانيا المسلمة، الجزء الأول ، الترجمة العربية لفريق من أساتذة اللغة الإسبانية، بإشراف صلاح فضل، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة 2000م ، ص135وما بعدها ؛ محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ،2000م ، ج 1 ص230 وما بعدها ؛ وانظر كذلك عبد المجيد نعنعي : الدولة الأموية بالأندلس، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1989م ، ص 183 وما بعدها .

(8) ابن حيان: المقتبس، ص107؛ وللمزيد حول سقوط برشلونة راجع شكيب أرسلان ، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا ، طبعة الحلبي ـ القاهرة 1933م ، ص ص 130– 133 .

حيث « صفا الملك بالأندلس للأمير الحكم وأشتد سلطانه، فعتا وتجبر، واعتسف الرعية»[9] وأظهر أبهة الملك بالأندلس، وأسرف في تأييد هيبته، وجدد عهد أجداده في المشرق ببذخه وروعته، واستكثر من المماليك والبطانة [10] .

وأصرَّ الحَكم على الانفراد بالسلطة ومباشرة الأمور - كل الأمور - بنفسه ؛ لكن طبقة الفقهاء والتي كان أبوه هشام قد قرّبها من مواقع السلطة والنفوذ، وسمح لها بالتدخل في أمور الدولة وشئون الحكم والإدارة باسم المحافظة على أحكام الإسلام ، وجدت في سياسة الحكم الجديدة ضياعًا لهيبتها ونفوذها وتصدعًا لمركزها ، فرفضت بصورة علنية وقاطعة سياسة الحَكم هذه، وسعت في الدعاية ضده والتشهير به ، وإثارة الناس عليه، وأخذوا يستغلون المنابر والمساجد للتنديد به والتعريض بسياسته، التي كانت ضربة قاضية لأمانيهم وأحلامهم في أن يحكموا الأمة من وراء ستار، وأن تكون لهم الكلمة العليا في طول البلاد وعرضها .

ولاقت دعاية الفقهاء رواجًا بين طبقات المولدين والبربر الذين كانوا ينقمون على العرب كبرياءهم واستئثارهم بالمناصب والنفوذ، وأحسن هؤلاء الفقهاء استغلال التكوين العنصري للشعب الأندلسي في رفع درجة الاستعداد للتمرد والثورة على الأمير بين مختلف طبقات أهل الأندلس [11] ؛ وكان الحَكم بإسرافه في اللهو والبذخ يُسبغ على حملات هؤلاء الفقهاء ضده مصداقية أمام العامة ؛ إذ كان شخصًا مرحًا محبًّا للحياة ميالاً للمتع يهوى الصيد والقنص، ويشارك في مجالس الأنس والطرب ، ويخالط الشعراء الماجنين ، والندماء والمغنين ؛ وعلى هذا فإن المواجهة بين الأمير الأموي والفقهاء بدت منذ مطلع عهده قدرًا لا مفر منه ولا مهرب من لقائه .

وعندما شعر الفقهاء بأن معارضة الناس في قرطبة وغيرها من المدن بلغت حدًّا يسمح لهم بالعمل على الإطاحة بالأمير و أن يستبدلوا به من يُمكِّنهم من أغراضهم، صمموا على إقصائه عن إدارة أمور البلاد ، وكان ذلك في جمادى الآخرة 189هـ/

(9) ابن حيان: المقتبس: ، ص 119.

(10) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس ، ج 1 ص230.

(11) د. سامية مصطفى مسعد : التكوين العنصري للشعب الأندلسي وأثره على سقوط الأندلس ، القاهرة 2004م ص 58 وما بعدها.

مايو805 م حيث عرضوا على أحد الأمويين من أبناء عمومته وهو "محمد بن القاسم"[12] أن يخلف الحَكم في إمارة الأندلس، فأظهر الاستجابة لهم، لكنه أفشى سرهم ، وخذلهم. وتقرب إلى الحَكم بدمائهم، وقدم له قائمة بأسمائهم « فلم يقلهم العثار، وبطش بهم بطش الجبارين، وجمع لهم ما بين سفك الدماء وفظاعة التمثيل»[13] « فأعدم اثنين وسبعين رجلاً من بياض أهل قرطبة »[14]، كان منهم عدد من الفقهاء المعروفين مثل يحيى بن مضر القيسي صاحب مالك، وعيسى بن عبد البر، ومالك بن يزيد التجيبي، وصاحب السوق موسى بن سالم الخولاني[15]، وأمر الحَكم بنصب الجذوع لهم على شاطئ النهر عند الساحل المقابل لقصر الإمارة المسمى "بالرصيف" وصلبهم على مرأى ومسمع من الناس.

ويمكن تصور حالة الناس في قرطبة ووقع هذا الإجراء الدموي عليهم ، ومدى كراهيتهم للأمير الحكم بعد هذه المذبحة ، يصف ابن حيان المشهد بقوله: « فـُذعِرَ منه أهل الأندلس طـُرًا، وسارت الرُكبان بحديث سطوته الشنعاء، وتشزر من لدن هذا الوقت لرعيته فقلب لهم مجنَّ جوره ، ومد إليهم برثنَ وحشته وأخذ أهبته وحذره »[16] « فمرج الناس بعد الحادثة على هؤلاء الوجوه فيهم ، وثبتت عداوتهم لسلطانهم فكانوا يجتمعون في المساجد والمحافل يخوضون في شأنهم ويُكبرون ما جرى لهم ويتصل ذلك بالأمير الحكم فيتوقع ثورتهم، ويتأهب لانتكاستهم »[17] .

---

(12) ابن حيان: المقتبس ، ص 121؛ ابن عذاري: البيان المغرب ، ج 2 ص71.

– هو محمد بن القاسم بن عبد الملك بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، كان الأمير الحكم عم أبيه القاسم، وليس ابن عمه كما ذكرت المصادر. راجع ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص 94.

(13) ابن حيان: المقتبس ، ص 121؛ ليفي بروفنسال: تاريخ إسبانيا المسلمة ، ص 142؛ محمد عبد الله عنان ج 1 ص230.

(14) ابن حيان : المقتبس ، ص 121؛ ابن عذاري: ج 2 ص72 ؛ وبياض أهل البلد: أهل الشهرة والمكانة فيه .

(15) المقتبس ، ص121.

(16) السابق ، ص122.

(17) السابق ، ص 125.

وكرد فعل لهذه المذبحة ثار أهل الربض في رمضان من نفس السنة / أغسطس 805م، لكن الحكم استطاع السيطرة على الأمر، وقبض على زعيم الثوار، وسحق الهياج دون رأفة فهدأت قرطبة، ولكن إلى حين[18].

وكانت طليطلة مركزًا دائمًا للثورات في شمال البلاد حتى أن ابن حيان يسميها " دار الخلاف على الأئمة " لكثرة ثورات أهلها ، ففي عام 181هـ/ 797م قام أحد الخارجين ويدعى "عبيدة بن حميد" بالثورة على الأمير الحكم في هذه المدينة، فأرسل إليه الحكم جيشًا بقيادة "عمروس بن يوسف المولد"[19] الذي استطاع إخماد هذه الثورة.

وتخلص "عمروس" من هذا الثائر بسلاح الاغتيال[20]، فأذعنت هذه المدينة الثائرة بعض الوقت لسلطان الحكم، لكن هذا الهدوء المؤقت ما لبث أن تلاشى وعادت طليطلة إلى الثورة من جديد ؛ لم يجد الحكم وسيلة لتهدئة هذه المدينة وإخضاعها سوى أن يقوم بتعيين "عمروس" حاكمًا لها، ويمنحه كافة الصلاحيات التي تعينه على القضاء على التمرد الطليطلي الدائم .

وفعلا نجح "عمروس" في كسب ثقة أهل طليطلة، حيث تظاهر بكراهيته للعرب ولبني أمية، واستمال إليه الناس برأيه فيهم ؛ ثم عمد إلى إنشاء حصن في شمال المدينة

---

(18) ابن حيان: المقتبس ، ص125 ، محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ج1 ص37 ؛ ليفي بروفنسال : إسبانيا المسلمة ، ص 142.

(19) عمروس بن يوسف المولد ، أصله من وشقة ، كان وصيفًا لمطروح بن سليمان الأعرابي الثائر في سرقسطة على الأمير هشام بن عبد الرحمن الداخل ، ثم اشترك عمروس مع خلف بن راشد في اغتيال مطروح بن سليمان سنة 175هـ ، وقدم على الأمير الحكم فولاه " طلبيرة " وأصبح من كبار قادة الدولة . عنه راجع : العذري : ترصيع الأخبار وتنويع الآثار تحقيق د.عبد العزيز الأهواني ، منشورات معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد 1965، ص ص26 – 27.

(20) ابن حيان: المقتبس ، ص 125؛ محمد عبد الله عنان ج1 ص238؛ عبد المجيد نعنعي: الدولة الأموية في الأندلس ، ص 188.

ليكون مأوى للجنود والموظفين الذين يضيقون على أهل طليطلة ويسببون المشكلات لهم – في زعمه – وبعدما أتم بناء الحصن الجديد، انتقل إليه هو وجنده وعمال الإمارة، ثم أرسل إلى الحَكم يُعلمه بانتهاء البناء[21].

فأسرع الحَكم بإرسال جيش تظاهر بأنه ذاهب لقتال نصارى الشمال تحت قيادة ابنه عبد الرحمن ، وعندما وصل الجيش على مقربة من طليطلة خرج "عمروس" وأعيان البلد للقاء ولي العهد، وطلبوا إليه تشريفهم بزيارة مدينتهم، فقبل ولي العهد دعوتهم بعد إلحاحهم عليه ، وعندئذ وجَّه "عمروس" الدعوة إلى وجهاء المدينة لحضور حفل عشاء كبير أعده في الحصن تكريمًا لولي العهد.

وعندما أقبل أعيان المدينة رتَّب دخولهم من باب وخروجهم من باب آخر، وجعل الخدم يقتادون المدعوين عشرة بعشرة إلى مجلس الطعام، كلما دخلت زمرة منهم أفضت إلى سيافين معدين على شفا حفرة يضربون أعناقهم، وأصوات المزامير والأبواق تحول دون سماع استغاثاتهم[22]، فقتل في هذه المذبحة عدد كبير من أعيان هذه المدينة يزعم بعض المؤرخين أنهم خمسة آلاف [23]، بينما يجعلهم البعض الآخر سبعمائة رجل ، وهو رقم كبير في كل الأحوال[24] وكانت هذه المذبحة في عام 191هـ/ 708م أي بعد عامين من مذبحة الفقهاء.

من السهولة تخيل وقع هذه المذبحة على من بقي حيًّا في طليطلة ، وعلى بقية أهل الأندلس، حيث رفعت هذه المذبحة المروّعة رصيد الكراهية على الأمير الحكم في نفوس الناس إلى أقصى الدرجات، وكانت سببًا في حالة من السخط الشديد والغضب الأعمى .

---

(21) ابن عذاري: البيان المُغرب ج2 ص69 ، محمد عبد الله عنان ج 1ص39، ليفي بروفنسال : السابق ، ص 139.

(22) رواية عيسى بن أحمد الرازي– ابن حيان : المقتبس ، ص 107.

(23) رواية الحسن بن مفرّج – ابن حيان: المقتبس ، ص 114.

(24) ابن حيان: المقتبس، ص113؛ ابن عذاري: البيان المغرب ، ج2 ص70 ؛ ليفي بروفنسال: إسبانيا المسلمة ، ص 140.

ولم يكتفِ الحَكم بذلك بل أضاف إلى رصيده من الكراهية في قلوب الأندلسيين إضافات أخرى وذلك بما فرضه عليهم من الضرائب المرهقة ؛ حيث فرض على الأطعمة ضرائب تعرف بالعشور « ألزمهم إياها وظيفًا مؤدي للسنين من غير خَرص غلة ولا على حدود شرعية »[25] ، وقبيل انتفاضة الربض بوقت يسير فرض عليهم نوعًا آخر من الضرائب الاستثنائية يعرف بالمغارم وعهِد بتحصيلها إلى « ربيع القومس - متولي المُعَاهدين النصارى بالأندلس - وقائد الحرس الخاص من الغلمان المعروفين بالخُرس»[26] فأضاف إلى استنكار الناس لهذه الضرائب، نفورهم من أن يتولى جبايتها منهم نصراني[27].

ولنا أن نتخيل مستوى السخط والاستنكار الذي كان يملأ صدور أهل قرطبة على الأمير الحكم إذا ما علمنا بقاء الفقهاء على حالهم من إثارة العامة والنفخ في نيران حقدهم الملتهبة لتصبح جحيمًا يكاد أن يأكل الأخضر واليابس ؛ وهكذا فإن الناس في قرطبة كانوا على أهبة الاستعداد للتمرد، وتكفي مجرد شرارة بسيطة لإشعال النار في الهشيم .

وتمثلت هذه الشرارة في حادث صغير وقع في الربض الجنوبي لقرطبة يوم الأربعاء 13 رمضان 202هـ / 24 مارس 818م حيث ذهب أحد الجنود من حرس الأمير إلى حداد في الربض ليصلح له سيفه، وعندما تباطأ الحداد فقد الجندي صبره فقتله[28] «فثار الهيج لوقته، كأنما الناس كانوا يرتقبون فتداعوا إلى السلاح ، وهتفوا بالخلعان، وبرز للكفاح أهل الربض القبلي بعدوة النهر القصوى قبالة القصر»[29]، واتجهت جموع الثائرين إلى

---

(25) ابن حيان: المقتبس ، ص 163 ، وخرص الغلة : أي تقديرها ظنًّا وتخمينًا بغير تيقن .

(26) القومس ربيع بن تدلف أو الكونت تيدلفو راهب إسباني كان رئيس نصارى الأندلس - عامل أهل الذمة - وكان أثيرًا عند الأمير الحكم بن هشام حتى ولاه العديد من المناصب الهامة كقيادة الحرس الخاص به، وجباية الضرائب، وقد أساء معاملة المسلمين (يسومهم الخسف ، ويُحدث فيهم المنكر ، فكثرت شكايتهم منه لسوء آثاره وفرط أذاه) على حد قول ابن حيان، فكان أول ما قام به عبد الرحمن بن الحكم حين تولى إمارة الأندلس أن صلب ربيع القومس فضج الناس بالشكر لله تعالى على رفع فتنته . راجع ابن حيان : المقتبس ، ص 184.

(27) ليڤي بروفنسال: إسبانيا المسلمة ، ص 143.

(28) ابن حيان: المقتبس ، ص 147 [رواية عن عيسى بن أحمد الرازي، ويقول إن الجندي هو القتيل وليس القاتل] .

(29) السابق ، ص148 ؛ ابن عذاري: البيان المغرب ، ج2 ص76.

القصر مباشرة فأحاطت به من كل جانب، فجمع حاجب الحكم "عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث" وكاتبه "فُطيس بن سليمان" ما استطاعا جمعه من قوات حاولا بها صد طوفان الثائرين الذي كان يتضخم دون هوادة ، لكن قواتهما عجزت عن وقف حركة هؤلاء الثوار الذين تمكنت جموعهم من اختراق صفوف الجند.

لم ينقذ الموقف إلا ما قام به "عبيد الله بن عبد الله" - صاحب الصوائف - و"إسحاق ابن المنذر"- المرواني - من جمع عدد من الفرسان النظاميين المنتشرين في قرطبة وتسللوا بهم عبر"الباب الجديد" إلى مخاضة " الرملة - Rambla " ثم عبروا النهر واستتروا بمرتفع صغير يسمى "دمنة الخشابين" حتى وصلوا إلى بيوت حي الربض[30]، وهناك أضرم هؤلاء الرجال النار في بيوت الربضيين، وأباحها القائدان لجنودهما فنهبوها، «وتعالت ألسنة اللهب ، وصريخ النساء والولدان على من كان يقاتل منهم بحومة القنطرة، فنكصوا نحو دورهم يبغون إغاثة أهليهم »[31]، فأحاط بهم الجند من كل جانب، وحوصر الثوار بين القوات التي انطلقت من الربض ، ومن قصر الإمارة ، وفي هذه اللحظة أصيب التمرد بالشلل وبدأت المذبحة الجماعية ، وأرخى الحكم - الذي نجا بأعجوبة من غضب العامة - لجنوده العنان في إمعان القتل والتخريب.

وفي اليوم الثالث استجاب الحَكم لتوسلات وزيره وحاجبه "عبد الكريم بن مُغيث" بوقف المذبحة ، التي راح ضحيتها أكثر من عشرة آلاف شخص[32]، فأصدر الحَكم أوامره بإعدام وصلب ثلاثمائة من كبار المتمردين « صفوا من إزاء باب القنطرة إلى آخر المصارة من ضفة النهر، لم يُر فيما سبق مصلوبون أكثر منهم عددًا، ولا أهول منظرًا » وأمر بتسوية حي الربض بالأرض فقام "ربيع القومس" بهذه المهمة فغادر الحي قاعًا صفصفًا، « وأمر بأن يرحل من بقي منهم على قيد الحياة عن قرطبة فلا أمان عنده لمن تخلف منهم بحضرته»[33] .

---

(30) انظر الخريطة المرفقة ، موضح عليها تحركات جند الإمارة ، وتحركات ثوار الربض. ص 732 .

(31) ابن حيان: السابق ، ص 149؛ ابن عذاري : السابق ج2 ص76.

(32) لسان الدين بن الخطيب . ت766هـ ، أعمال الأعلام ، القسم الأندلسي تحقيق ليفي بروفنسال ، بيروت 1968م ، ص16.

(33) ابن حيان: المقتبس ، ص142.

هذه هي أسباب ثورة الربض ، وهذه هي أحداثها، ولكن يبقى السؤال الذي لا مفر من الإجابة عنه : أين ذهب الناجون من المذبحة بعد خروجهم من قرطبة؟؟!

تجيب المصادر التاريخية عن هذا السؤال على النحو التالي « خرج أهل الربض من الأندلس، وتفرقوا في البلاد، فنزل فريق منهم ساحل العدوة المغربية وأقاموا بمدينة فاس[34]، وركب معظمهم البحر متجهًا إلى الإسكندرية، وكان عددهم نحو الخمسة عشر ألفًا فأقاموا بها مدة ثم تركوها ورحلوا إلى جزيرة إقريطش - كريت - ففتحوها وملكوها »[35]. هذه هي الرواية التاريخية المتعارف عليها والمشهورة بين المؤرخين القدامى والمحدثين على حد سواء[36]، وإلى وقت قريب جدًّا لم تكن هناك رواية تاريخية حول هؤلاء الربضيين إلا هذه الرواية الشائعة التي يعرفها جُل المشتغلين بالدراسات الأندلسية .

---

(34) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص 70 ؛ ابن عذاري المراكشي : البيان المُغرب ، ج2 ص77 ، ابن الأبـّار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ، ت658هـ : الحلة السيراء ، تحقيق د. حسين مؤنس ج1 ص45 ؛ المقري التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ج1 ص338.

(35) من هذه المصادر على سبيل المثال :

- ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص70 ؛ ابن عذاري: البيان المغرب ج2ص77 ؛ ابن الأبّار: الحلة السيراء ج1 ص45 ؛ عبد الواحد المراكشي: المُعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ص 30 - 31. المقري التلمساني : نفح الطيب ،ج1 ص338 .

(36) على سبيل المثال تجد هذه الرواية عند :

- حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، طبعة دار الرشاد ، القاهرة 2001م ، ص321 .
- سيدة إسماعيل كاشف : مصر في فجر الإسلام ، طبعة دار الرائد العربي ، طبعة ثانية ، بيروت 1972م ، ص 163.
- إبراهيم العدوي: الأساطيل العربية في البحر المتوسط ، طبعة دار النهضة المصرية ، القاهرة 1957م ، ص98.
- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس ، ج1 ص245؛ عبد المجيد نعنعي: الدولة الأموية في الأندلس، ص 195.

وباستثناء نفر من الأساتذة النابهين شككوا في صحة هذه الرواية ، ودحضوا ما جاء فيها بما توافر لديهم من أدلة [37]، كان الجميع يتناقلها على أنها حقيقة ثابتة لا تقبل النفي أو التغيير ، إلى أن ظهر للنور السفر الثاني من كتاب "المقتبس" لعميد مؤرخي الأندلس أبي مروان حيان بن خلف القرطبي [377 - 469هـ/ 987 -1076م] [38] وفي هذا الكتاب جمع ابن حيان روايات المؤرخين الأندلسيين الذين سبقوه، وقام بترتيبها وفق منهج خاص ، ويعالج السفر الثاني من كتاب المقتبس بتفاصيل مسهبة أحداث عهد الحكم بن هشام، و معظم عهد ابنه عبد الرحمن الثاني؛ وكان من الطبيعي أن تنال حادثة الربض حظها من العناية والتوثيق والاستقصاء، باعتبارها « **الوقعة العظمى التي وقعت لأهل قرطبة** » [39] .

قام ابن حيان بتطبيق منهج المُحدّثين على الروايات التاريخية حول هذه الواقعة حيث قسّمها إلى قسمين : قسم صحيح موثق متماسك ، وقسم ضعيف يشوبه الخلط والاضطراب، ؛ ولا مناص هنا من التوقف عند هذه الروايات وقراءتها بعناية شديدة حتى نخرج من هذا الخطأ التاريخي الكبير الذي وقع فيه عدد غير قليل من كبار أساتذة التاريخ ، وكبار المستشرقين، وهذه القراءة المتأنية ضرورية لتصحيح هذا الخطأ الشائع الذي درج الجميع على ترديده.

---

(37) كان الأستاذ الدكتور/ سعد زغلول عبد الحميد أول من تنبه إلى عدم دقة هذه الرواية و تابعه الدكتور/ السيد عبد العزيز سالم وأيّد وجهة نظره بأدلة أخرى. انظر :

- سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ الإسكندرية من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي ، منشور ضمن كتاب تاريخ الإسكندرية منذ أقدم العصور ، الصادر عن محافظة الإسكندرية سنة 1963م ، ص 267.

- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي ، دار المعارف ، القاهرة 1969م ، ص 131 ، وأيضًا كتابه تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ، بالاشتراك مع أحمد مختار العبادي ، الإسكندرية 1987م ، ص 72 .

(38) ظهر مقتبس ابن حيان في بداية عام 2004م طبعة مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية بتحقيق محمود علي مكي .

(39) ابن حيان : المقتبس ، ص140 .

أولاً : الروايات المضطربة والمختلطة :

روايات نقلها ابن حيان في مقتبسه عن مؤرخ أندلسي معاصر له هو "الحسن بن محمد بن مفرج" صاحب كتاب "الاحتفال في تاريخ أعلام الرجال"[40] الذي نقلها بدوره عن ثلاثة من المؤرخين الأندلسيين هم :

سكن بن إبراهيم التاريخي [41] ، محمد بن حفص فرج [42] ، أبو بكر بن القوطية[43] .

وعند قراءة هذه الروايات نجد أنها خلطت بين أحداث ثورة الربض الأولى رمضان 189هـ إثر مذبحة الفقهاء ، وثورة الربض الثانية - رمضان 202هـ - ووضعتهما معًا في سياق متصل يخلط الأحداث بالنتائج، وكأنهما حدث واحد وقع في سنة واحدة .

---

(40) هو أبو بكر الحسن بن محمد بن حماد بن الحسين بن مفرج المعافري- المعروف بالقبشي - ولد سنة 348هـ/ 959م، في قرطبة ، كان محدثًا ومؤرخًا، له كتاب «الاحتفال في تاريخ أعلام الرجال » وهو كتاب في أخبار الخلفاء والقضاة والفقهاء، وتوفي بعد سنة 430هـ/ 1039م انظر ترجمته الكاملة في : ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك ، ت 578هـ / 1182م كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم ، بعناية عزت العطار الحسيني ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة 1955م . ص136، الترجمة رقم : 318.

(41) هو سكن بن إبراهيم الكاتب التاريخي ، أديب إخباري من أهل الأندلس له كتاب في طبقات الكُتّاب بالأندلس ، انظر ترجمته في :

الحميدي : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، ص219 ، ترجمة رقم 493.

(42) لم أعثر له على ترجمة ، والراجح أنه من طبقة ابن القوطية ، أي من مؤرخي الأندلس في القرن الرابع الهجري .

(43) هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز بن عيسى بن مزاحم المعروف "بابن القوطية" إشبيلي الأصل ، كان جده الأعلى مولى لعمر بن عبد العزيز، ويرجع لقبه الذي عرف به إلى أنه من ذرية "سارة القوطية" حفيدة ملك القوط ، وهو من علماء اللغة والمؤرخين المشهورين بالأندلس ، انظر ترجمته الكاملة في :

- ابن الفرضي : أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي. ت403هـ : تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس، تحقيق عزت العطار الحسيني ، مكتبة الخانجي ، القاهرة 1954 م ، ج 2 ص 78 . ترجمة رقم 1318 ؛ الحميدي : جذوة المقتبس ، ص72 .

وقد يكون سبب هذا الاختلاط أن كلا الثورتين وقعتا في مكان واحد هو "ربض قرطبة القبلي" وكانتا من نتاج التحريض المستمر للفقهاء ، وأنهما ضد الرجل نفسه - الحكم بن هشام - وأن كليهما وقعتا في نفس الشهر - شهر رمضان - ولنفس الأسباب مثل أنفة الحكم وإسرافه في تأييد هيبته، وإطلاق يد ربيع بن تدلف في تحصيل الضرائب وجمع المغارم ..... إلخ ، وأهم ما يعنينا في هذه الروايات هو قصة خروج أهل الربض التي وردت عندهم على النحو التالي :

1- رواية سكن بن إبراهيم :

« وتفرق فَلُّهم عند موج حربهم أيادي سبأ إلى كل جهة من الأندلس والعدوة»[44] .

2- رواية محمد بن حفص بن فرج :

« فأخذ الحَكم برأي من أشار عليه بالعفو، إلا أنه لم يُفسح لهم في المقام بقرطبة البتة، وأعطاهم الأمان على الخروج منها، والضرب إلى كل ناحية ، فارتحلوا على الطية ، فلجأ خلق منهم إلى طليطلة ، إذ كان أهلها يومئذ على انتزاء على الأمير الحكم، ومُلك لأنفسهم، فأجاروهم عليه، وآووهم، وابتغوا القوة بهم، ومضى جمهورهم نحو الساحل القبلي، فعبروا إلى أرض العدوة، وتفرقوا في سواحل بلاد البربر، ونزل خلق منهم مدينة فاس، فإن محلتهم بها هي المنسوبة إليهم إلى اليوم ، وصاعد كثير منهم البحر الرومي إلى جزيرة إقريطش من جزائره ، فسكنوا وعمرها فكثروا بها وعزوا، واستقروا بها إلى اليوم» [45].

3- رواية أبي بكر بن القوطية :

« خرج أكثر فل الربضيين بعد خبر حربهم عن بلد الأندلس فلحقوا بسواحل بلاد البربر بعدوة البحر، فتفرقوا فيها ونازلوا أهلها، وأصعدت منهم طائفة عظيمة نحو الخمسة عشر ألفًا في البحر نحو المشرق، حتى انتهوا إلى الإسكندرية، وغزاهم أهلها فسطوا بهم سطوة منكرة هزموهم غبها - بعدها - وبذلوا السيف فيهم، فقتلوا خلقًا

(44) ابن حيان: المقتبس، ص 163 ، وكما هو واضح فإنه لا يشير إلى رحيل الأندلسيين إلى الإسكندرية .

(45) السابق ، ص 164 ، ولاحظ إشارته للجوء هؤلاء الربضيين إلى طليطلة وبقائهم فيها.

وملكوها...، وكان سبب ثورتهم بالإسكندرانيين ، أن جزارًا منهم ضرب وجه رجل من هؤلاء الأندلسيين بكرش ملوثة فنادى أصحابه فامتعضوا له، وقاموا على أهل البلد فغلبوهم، وأقاموا بها إلى أن صالحهم عامل بني العباس على مصر على الخروج سلمًا عنه ، وخيرهم في الحلول بحيث يختارونه من جزائر البحر، يعانون على حلولهم بها، فاختاروا جزيرة إقريطش من البحر الرومي، وكانت يومئذ خالية من الروم، فاحتملوا بكليتهم إليها، ونزلوها واعتمروا، وجاءهم الناس من كل مكان فهم بها مقيمون إلى اليوم »[46].

وينقل ابن حيان رواية أخرى عن أبي بكر بن القوطية - لم يضعها مع الروايات الضعيفة - إلا أنها لا تختلف كثيرًا عن الرواية السابقة إلا في ذكر اسم الوالي العباسي "عبد الله بن طاهر"، وتعيين زمان نزول أهل الربض إلى الإسكندرية في أول خلافة "المأمون" ولا تذكر هذه الرواية الثانية رقم الخمسة عشر ألفًا الذين نزلوا الإسكندرية ، ولم تحدد عددهم ، ولم ترد فيها قصة القصّاب السكندري التي يزعم ابن القوطية أنها كانت سببًا للقتال بين الأندلسيين والسكندريين[47].

ويلاحظ على هذه الروايات ما يلي :

- وضع ابن حيان هذه الروايات فيما يسميه "روايات شابها الخلط والاضطراب" وهو ما يعني أن التعامل معها ينبغي أن يكون بحذر شديد، ولا يصح التعويل عليها واعتمادها كمصدر تاريخي إلا إذا دعت الضرورة لذلك .
- لم يصلنا من هذه الروايات سوى رواية أبي بكر بن القوطية التي قُدّر لها أن تذيع وتنتشر ويتناقلها المؤرخون فتصبح لكثرة تكرارها ووجودها في أكثر من مصدر هي الرواية الثابتة المعروفة التي لا يتطرق إليها الشك، ولذا نجد مؤرخًا مصريًّا كبيرًا هو

---

(46) السابق ، ص164.

(47) يرى أستاذنا الدكتور محمود علي مكي أن الروايات التي قدمها ابن حيان نقلاً عن ابن القوطية تؤكد أن النسخة المطبوعة من كتاب ابن القوطية ما هي إلا نسخة شديدة الاختصار والتحريف ، وأن كتاب ابن القوطية الأصلي كان أكبر حجمًا وأغزر مادة من الكتاب الذي بين أيدينا الآن.

المقريزي ينقل رواية ابن القوطية هذه حرفًا بحرف ويضعها بين أحداث تاريخ الإسكندرية [48].

- نجد أن سكن بن إبراهيم لا يشير إلى رحيل ثوار الربض إلى الإسكندرية على عكس ما فعل محمد بن فرج ، وابن القوطية .
- نجد أن محمد بن فرج يشير إلى لجوء الربضيين إلى "طليطلة" ، وهو ما أغفله أبو بكر بن القوطية، فلم يذكر شيئًا عن طليطلة على الإطلاق.
- أشار محمد بن فرج إلى لجوء فريق من أهل الربض إلى مدينة "فاس" وهو أمر مشهور يعرفه كل مؤرخي الأندلس، ورغم ذلك لم يشر إليه ابن القوطية مطلقًا .
- انفرد ابن القوطية في روايته الضعيفة برقم الخمسة عشر ألفًا الذين نزلوا الإسكندرية، وهو الرقم الذي لم نسمع به عند غيره من المؤرخين المعاصرين له، بل نقله المتأخرون عنه، وكذلك انفرد بقصة القصّاب السكندري التي نقلها عنه المقريزي، كما أن ابن القوطية هو الوحيد الذي ذكر في روايته طرفًا من أحداث الإسكندرية .

ثانيًا : الروايات الصحيحة :

1- رواية أحمد بن محمد بن موسى الرازي :

شيخ مؤرخي الأندلس وأول من صنف كتابًا في تاريخ ملوك الأندلس وكتابهم وخدمتهم [49] ، وهي أول رواية قدمها ابن حيان، وتتضمن المنشور الذي أصدره الحكم

---

(48) نقل المقريزي رواية ابن القوطية عند حديثه عن الإسكندرية ، انظر : المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر ، ت 845 هـ/ 1441م. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، تحقيق أيمن فؤاد سيد ، طبعة مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن 2002م ، ج 1 ص 467 .

(49) أحمد بن محمد بن موسى الرازي التاريخي ، كان نحويًا لغويًا وكاتبًا بليغًا غزير الرواية حافظًا للأخبار، له كتاب في أخبار أهل الأندلس وتواريخ دول الملوك فيها بلغ فيه الغاية من الاستيعاب والتقصي ، توفي 344هـ/ 955م . ترجمته كاملة في :

- الزُّبيدي : أبو بكر محمد بن الحسن الإشبيلي . ت 379 هـ : طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم؛ القاهرة 1963 م ، ص 327 ؛ الحميدي : جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ، ص 97 ؛ ياقوت الحموي: معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي بيروت 1993م . ج 1 ص472 .

إلى عماله في أنحاء الأندلس، يبين لهم فيه ما كان من أمر هذه الواقعة وكيف تم له الانتصار على الثائرين[50]. وهذه الرواية كبيرة بلغت نحو ثمان صفحات من القطع الكبير في كتاب المقتبس، ويهمنا منها خبر خروج الربضيين من قرطبة، يقول أحمد بن محمد الرازي:

« ونادى في فلّهم بالترحال عن قرطبة، والتفرق في البلاد النائية، فلا أمان عنده لمن تخلف منهم بحضرته؛ فأجفلوا بالهرب عن قرطبة، وتفرقوا شذر مذر، ولجئوا إلى أطراف الثغور، وأقاصي الكور، وركب خلق منهم البحر فصاروا بأرض العدوة؛ وكان رحيل جمهور الناس المقصيين عن قرطبة إثر خبر حجز الحرب عنهم، وبذل الأمان لهم يوم الأربعاء لعشر بقين من رمضان من سنة اثنتين في انسلاخ شهر مارس الشمسي الكائن في هذه السنة»[51].

ويقول في موضع آخر:

« وتفرق فلّ قرطبة عند إزعاجهم، فلحق جُل من تردد منهم بالأندلس بطليطلة – دار الخلاف على الأئمة – وكاتبوا مهاجر بن القتيل شهاب الفتنة[52]، وقد كان لحق بدار الحرب في سنة ثمانٍ وتسعين ومائة بعياله ومن تبعه من أسبابه، لائذًا بالمشركين من سلطان الجماعة عند مخافته على نفسه ....، ومكث مهاجر بن القتيل بجليقية إلى أن استقدمه الربضيون فل أهل قرطبة، فاستجاب لهم وقدم عليهم فولوه أمرهم، وسعوا

(50) يوجد نص هذا البيان في كتاب دولة الإسلام في الأندلس لمحمد عبد الله عنان ج1ص245، وانظر ما كتبه عنان تعليقًا على روايات المؤرخين حول حادثة الربض ج 1 ص ص244– 246.

(51) ابن حيان: السفر الثاني من المقتبس، ص 142.

(52) أشار ابن سعيد المغربي في كتابه المُغرب إلى قصة مهاجر بن القتيل وعلاقته بأهل الربض، ويبدو أنه حاول التوفيق بين الرواية التي قالت إن عدد من خرج من قرطبة كان خمسة عشر ألفًا ومن قال إن جمهورهم نزل طليطلة فقال إن عدد من رحل منهم إلى طليطلة كان خمسة عشر، مع ملاحظة أن ابن سعيد ذكر أنهم خرجوا من طليطلة بعد مدة متوجهين إلى الإسكندرية بقيادة مهاجر ابن القتيل، وهذا يضع رواية ابن سعيد في مصاف الروايات الضعيفة والمختلطة لأن مهاجر بن القتيل مات في سجنه بقرطبة ولم يبرح الأندلس. انظر: ابن سعيد: أبا الحسن موسى بن سعيد المغربي. ت 685هـ: المُغرب في حلي المغرب، تحقيق شوقي ضيف – القاهرة 1953م، ج1 ص42.

للفتنة وجاهروا بالمعصية ، فخالفهم مهاجر بن عتبة، ودعا إلى الأمير الحكم وملك قصبة طليطلة، فجرت بينهم في هذه السنة خطوب طويلة» .

وقال في موضع ثالث :

« وبذل الأمير الحَكم الأمان لمن استقر بقرطبة بعد سكون الحادثة، وتحمل الجالية ، فظهر من استخفى منهم وتراجعوا، فجدد بيعته عليهم مغلظة ، فاطمأنوا إليها، وسكنت روعهم وثابت حالهم فاستقروا بوطنهم »[53].

2- رواية عيسى بن أحمد الرازي [54] :

والتي تضيف تفاصيل أخرى حول هذه الانتفاضة ونتائجها ، حيث يقول :

« وأمر الأمير الحَكم برفع القتل والإقصار عن طلب المستخفين وكتب لهم كتاب أمان شيع فيهم، وهتف عليهم بالأمان على أن يخرجوا عن حضرة قرطبة، فظهروا، وانشمروا ظاعنين عن قرطبة على الصعب والذلول في يوم الأربعاء لعشر بقين من رمضان المؤرخ ، لانسلاخ شهر آذار "مارس" الكائن فيه » [55] .

وقال في موضع آخر :

« وأجفل أهل قرطبة في الهرب الذي علقوا الأمان عليه، ففروا عنها إلى كل جهة متفرقين في أقاصي الكور، وأطرف الثغور، ولحق جمهورهم بطليطلة، واعتاموها لخلاف أهلها على الخليفة الحَكم، فاستقروا فيها، وكاتبوا منها مهاجر بن القتيل، الذي كان بدار الحرب هاربًا من بأس الأمير الحكم أيام خالفه فيها، فقدم عليهم، وولوه أمرهم، وأكدوا به معصيتهم فجرت لهم بها خطوب طويلة»[56].

---

(53) ابن حيان : المقتبس ، ص 146.

(54) عيسى بن أحمد الرازي، مؤرخ أندلسي مشهور، ورث عن أبيه صنعة الأدب والتاريخ وله كتاب "الحُجّاب للخلفاء بالأندلس" لم أظفر له بترجمة كاملة ، غير أنه توفي سنه 379هـ / 989م . انظر : ابن الأبّار : الحلة السيراء . ج1ص138.

(55) ابن حيان: المقتبس ، ص 151.

(56) ابن حيان: المقتبس ، ص153.

ويلاحظ على هذه الروايات ما يلي :

- هذه الروايات لاثنين من المؤرخين الأندلسيين قريبي العهد من الأحداث من نفس طبقة ابن القوطية بل منهما من يتقدم عليه وهو أحمد بن محمد بن موسى الرازي، من ثم فهي أقرب إلى التصديق والقبول ، ولذا ذكرها ابن حيان أولاً.
- تؤكد هذه الروايات أن أهل الربض تم إقصاؤهم عن " قرطبة " وحدها ، ولم تطلب منهم السلطات مغادرة الأندلس كلها ، كما زعمت الروايات المتأخرة، وأن من خرج من الأندلس لم يذهب لأبعد من سواحل العدوة المغربية.
- تتفق هذه الروايات على أن "جمهور الربضيين" خرجوا من "قرطبة" متجهين إلى "طليطلة" وأن أهلها آووهم ، وأنهم اتصلوا بأحد زعماء الخارجين وهو "مهاجر بن القتيل" الذي استجاب لهم وقدم عليهم فتولى أمرهم، وقاد ثورتهم على الأمير الحكم وعلى أيديهم عادت "طليطلة" من جديد مركزًا للتمرد والثورة ، وهو ما أكدته الحوادث بعد ذلك [57].
- لم يرد في هذه الروايات أي ذكر أو إشارة إلى اتجاه هؤلاء الربضيين إلى مدينة الإسكندرية ، وهو ما يثبت أن هؤلاء الربضيين ليس لهم أي علاقة بما حدث في الإسكندرية ومن ثم بفتح جزيرة إقريطش على الإطلاق ، على عكس ما هو شائع.
- لا يوجد في هذه الروايات أي إحصاء عددي لمن نجا من مذبحة الربض- خصوصًا رقم الخمسة عشر ألفًا الذي انفرد به " ابن القوطية " دون سواه من المؤرخين.

---

(57) استمرت "طليطلة" بعد وقعة الربض ولجوء المهاجرين من قرطبة إليها مركزًا للثورات والفتن طيلة السنوات الباقية من عهد الحكم بن هشام، وهي [203، 204، 205، 206هـ] ، ولا أدل على ذلك مما ذكره ابن حيان من الغزوات التي قام بها الأمير "الحكم" أو حاجبه "عبد الكريم بن مغيث" إلى "طليطلة" خلال هذه الفترة، وذلك بعد أن (نكث أهل طليطلة بمن صار عندهم من فل قرطبة، واستعادوا مهاجر بن القتيل مغويهم فولوه أمرهم) على حد قول ابن حيان ، ويبدو أن خطر "مهاجر بن القتيل" كان كبيرًا جدًا حتى أنه استلزم إرسال أربع حملات انتهت آخرها وهي التي وقعت في سنة 206هـ/ 822م بالقبض عليه بواسطة الحاجب "عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث" وسجنه في سجن المُطبِق بقرطبة ، ابن حيان : المقتبس، ص 179 - 181 .

- تقدم رواية أحمد بن موسى الرازي إضافة هامة جدًّا، عن كتاب الأمان الذي بذله الأمير الحكم لمن كان مستخفيًا في قرطبة وأنه جدد بيعته عليهم مغلظة الأيمان، فاطمأنوا إليها، وسكنت روعهم، وثابت حالهم فاستقروا بوطنهم، وهو ما يعني أن فريقًا من الثوار لم يغادر قرطبة أصلاً، وإنما استخفى فيها حتى شمله كتاب الأمان الذي بذله لهم الحكم، حين جدد عليهم البيعة، ولم يطالبهم بالخروج من قرطبة ، وإنما تركهم فيها بعد سكون الحادثة.
- تشير هذه الروايات إلى أن الربضيين تفرقوا في جهات الأندلس المختلفة ، وأن طليطلة كانت هي محط رحال جمهورهم - أي غالبيتهم -.

وبالإضافة إلى هذه الراويات الجديدة التي تظهر لأول مرة حول ثورة أهل الربض ، فإنه قبل قبول الرأي القائل بأن فاتحي إقريطش هم ثوار الربض، علينا أن نجيب على عدد من الأسئلة الصعبة منها :

لماذا يفكر جماعة من أهل الأندلس يبحثون عن مأوى لهم في مدينة بعيدة عنهم مثل الإسكندرية سيضطرون إلى قطع آلاف الأميال البحرية حتى يصلوا إليها ؟ وكيف حصل هؤلاء النازحون عن بلدهم على مراكب تكفي عددهم الكبير دفعة واحدة في مثل هذه الظروف ؟ وكيف لمجموعة من سكان مدينة غير ساحلية مثل قرطبة - يعمل معظمهم بالحرف البسيطة أو التجارة، وبعضهم من طلبة العلم - أن يتحولوا بين عشية وضحاها إلى بحارة مهرة يركبون ثبج البحر ويغازون أهله ؟!! ولا ينتهي الأمر عند هذا الحد بل يهزمون أعتى قوة بحرية في البحر المتوسط في مرحلة تالية ؟!! من أين لهم بمثل هذه المهارة القتالية التي تحتاج إلى سنوات لاكتسابها ؟!! ثم كيف لمن خرج من بلده مطرودًا وقد فقد أهله وماله أن تكون به طاقة لقتال أو رغبة في المغامرة ؟!

إن مسألة نزول أهل الربض مدينة الإسكندرية مجرد رواية سقيمة وجدت في القديم رواجًا بين المؤرخين بسبب شهرة صاحبها - أبي بكر بن القوطية - كواحد من أوائل المؤرخين في الأندلس، وذلك بالرغم من أنه كان « **غير ضابطٍ للراوية وليس له أصول يرجع إليها** »كما يصفه ابن الفرضي [58].

---

(58) تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ج2 ص78 .

وكان لهذه الراوية حظ عظيم من الذيوع والانتشار في العصر الحديث حيث كان كتاب ابن القوطية من أوائل الكتب التي تم إخراجها على عجلات المطابع منذ عام 1868م عندما قام المستشرقان "بسكوال دي جاينجوس، وإدواردو سابيدرا"[59] بنشره، ولذا لاقت هذه الرواية رواجًا واسعًا في الدراسات الحديثة ؛ وقبلها الجميع على أنها حقيقة ثابتة. مع أن الأمر لا يزيد عن رواية واهية أضفى عليها مرور السنين وكثرة التكرار مصداقية زائفة جعلتها في نظر الكثيرين واقعًا لا يقبل الجدال .

نخلص من العرض السابق إلى النتائج التالية :

* أولاً : ليس هناك أي علاقة بين ثوار الربض وفتح جزيرة إقريطش .

* ثانيًا : تفرق ثوار الربض في أرجاء الأندلس ونزل معظمهم في طليطلة .

* ثالثًا : بقي بعض أهل الربض في مدينة قرطبة ولم يبرحها .

* رابعًا: من غادر الأندلس من الثوار لم يذهب لأبعد من سواحل المغرب.

هذه هي إجابة السؤال عن مكان الناجين من أهل الربض ؛ وهي إجابة يقبلها العقل وتدل عليها الأحداث، و تدعمها الشواهد التاريخية والروايات الموثّقة .

---

(59) "بسكوال دي جاينجوس" مستشرق إسباني وهو أول أستاذ للغة العربية بجامعة مدريد، وقد انتخب عضوًا في مجمع التاريخ ، انظر ترجمته الكاملة في : نجيب العقيقي : المستشرقون ، الطبعة الرابعة الموسعة ، دار المعارف ، القاهرة 1981م ج 2 ص182؛ و"إدواردو سابيدرا " كان من أساتذة العربية في جامعة مدريد، وقد انتخب عضوًا في المجمع اللغوي الإسباني، ومجمع العلوم في "برشلونة" ، انظر ترجمته الكاملة في "المستشرقون" ج2 ص186 ، ولقد تعاون كلاهما في نشر كتاب تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية سنة 1868م . من نسخة سماعية لأحد تلاميذ ابن القوطية ، ويرى محمود مكي أنها شديدة الاضطراب والاختصار، ولا تمثل حقيقة كتاب ابن القوطية على الإطلاق .

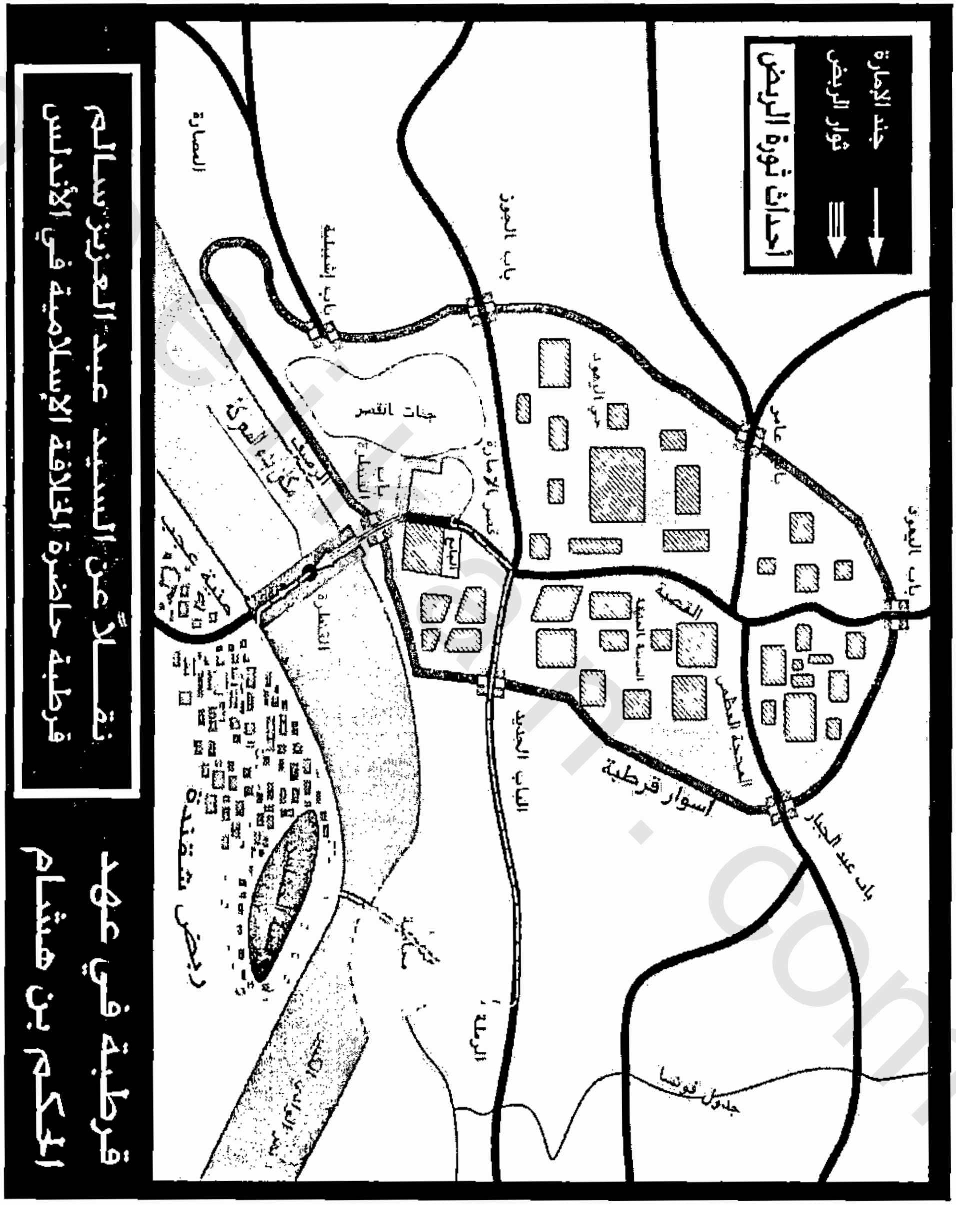
قرطبة في عهد
الحكم بن هشام
نقلاً عن السيد عبد العزيز سالم
قرطبة حاضرة الخلافة الإسلامية في الأندلس
أحداث ثورة الربض
جند الإمارة
ثوار الربض
باب عامر
باب اليهود
باب عبد الجبار
أسوار قرطبة
القصبة
باب الحديد
باب الجوز
جنات القصر
جدول قونشا
الرملة
المصارة